

حول آفاق التربية
واستراتيجيتها^(١)

(١) حديث الرفيق صدام حسين في المؤتمر الفكري الأول
للتربويين العرب بيغداد من ٧ - ١٥/حزيران/١٩٧٥

في موضوع التربية سأسجل بعض النقاط
التي تتعلق باختصاصي .. و اختصاصي هو
السياسة والعمل السياسي .. وهي تنطلق من
تقدير ان أي تصرف أو نشاط في المجتمع ،
فرديا كان أم جماعيا لكي يكون ذا جدوى
يجب ان يرتبط بهدف .. وينطلق من تقدير
أن أي فكرة تحكم النشاط في هذا المجال لابد أن
تتصل بالواقع الاجتماعي القائم ، وترتبط
بالعناصر المكونة للحالة المتفاعلة معه .. وعلى
هذا الاساس فاننا عندما نبحث في النظريات
التي قيلت في الشرق ، أو الغرب عن التربية
لابد ان نتعرف على ثلاث حالات :

تلك التي قيلت في كيفية استخدام المنهج
البشري لصالح التنمية ، إنما انطلقت من
فلسفة وارتبطة باهداف . والفلسفة غير
تكونها اتصلت بواقع ، ويمكّناته الرئيسية ،
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لذلك
الواقع .. فالنظريات التي قيلت في المجتمع
الرأسمالي ارتبطت بالفلسفة التي كونت ذلك
المجتمع ، والنظريات التي قيلت في الاتحاد
السوفيتي ارتبطت بفلسفة وباهداف ذات صلة
بذلك المجتمع .. اذن فان الخصائص الوطنية
والقومية ، ايها الاخوة ، لا بد ان تدخل كعنصر
حاسم في تقرير الفلسفة وفي تقرير الاهداف
الستراتيجية المرتبطة بالفلسفة ، وبالتالي في
تقرير الطريقة التربوية ضمن جيل الشباب ،
أو في أي ميدان اخر من ميادين الحياة .
ولو اخذنا الاتحاد السوفيتي .. لوجدنا

ـ الحالة الاولى ـ باي هدف او اهداف
ستراتيجية ارتبطت تلك التربية السائدة المتصلة
بنظرية ما ، أو بفلسفة ما .. اذ ان النظريات
الفرعية ، كنظرية التربية ، إنما تنطلق دائماً
من قاعدة فلسفية خاصة ونظرية أعم متصلة
بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي
لمرحلة ما ، من مراحل التطور .. ولتقريب
الصورة .. فلو حاولنا اقتطاع اجزاء من جسم
الانسان او اجزاء من صورته ، من احسن الناس
جمالاً « لتصنع » منها انساناً جديداً أو
صورة جديدة لرأينا كيف ان مثل هذه الصورة
ستكون بشعة جداً .. هذا مثال صغيرلكي نقول
ان كل جزء ما لم يرتبط باصل متوازن معه
بالمقدار وبالكيف لا يمكن ان يكون ذا قيمة
كبيرة مؤثرة ومتناسبة وقدرة على ، تغيير
الواقع الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي .
النظريات التي قيلت عن التربية ، وحتى

اللينينية نجد ان هناك خصائص وطنية وقومية مضافة بافكار ماوتسى تونغ . وعندما ننتقل الى كوريا هناك خصائص قومية ووطنية مضافة بافكار كيم ايل سونغ ، وكذا بالنسبة ليوغسلافيا وخصائص افكار تيتو . وسوف ترون الخصائص الوطنية والقومية المضافة بافكار ثوار فيتنام وكمبوديا ولاؤس . وكذلك لو فحصتم المجتمع الكوبي لرأيتم الخصائص المضافة . . . وهذه الخصائص المضافة بالفکر وبصيغ التطبيق .

تتصل بالواقع الوطني والقومي الكوبي .
نعود الى المجتمع الرأسمالي ، ونقول ان النظريات التي قيلت في التربية تتصل بهذا المجتمع بالتأكيد . . . تتصل بالفلسفة الاساسية الاقتصادية والاجتماعية لتلك المجتمعات ، وترتبط بخصائص وطنية وقومية مضافة حسب ظروف كل قطر . . . اذ لو تعقبنا النظريات التي

ان اساس فلسفته ينطلق من الماركسية اللينينية وليس الماركسية حسب . . . اذ ان ماركس وانجلز عندما وضعوا فلسفتهما كانت تلك الفلسفة تتصل بالواقع وبالتكوينات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الاوربي . . . لكن لم تطبق في الاتحاد السوفيتي كماركسية مجردة ، وانما طبقت تحت لواء الماركسية اللينينية . وهنـا تكمن الخصوصية المضافة باطار وطني وقومي مؤثر . واستبدال التسمية هنا لاغراض التطبيق ليس مسألة شكلية ، وانما هذه التسمية «اللينينية» المضافة متصلة ببراعة الاختراع لللينين ، وعلى هذا الاساس سميت بالماركسية اللينينية .

الخصائص الوطنية والقومية . . .

وعليه فان المضاف من الافكار ، انما يؤكـد الخصائص الوطنية والقومية للاتحاد السوفيتي . وعندما ننتقل الى الصين ضمن الماركسية

التفاعل .. في تكوين النظرية الشعبوية المرتبطة
 بخصائصنا الوطنية والقومية في الوطن العربي .
 ومن أجل الامة .. لأن كل فلسفة ، وبالثالثي كل
 نظرية تنبثق عنها وتصب فيها ، بالإضافة إلى
 ارتباطها بالواقع الاجتماعي والاقتصادي
 السياسي ، كما مر ، إنما ترتبط بحالة
 سايكولوجية سائدة في المجتمع إنذاك ، ويتأثر
 بها صاحب النظرية . والحالـة السايكولوجية غير
 مجردة أيضا ، وإنما مرتبطة هي الأخرى بالعوامل
 الموضوعية التي مررنا عليها . ولذلك فإن النظرية
 ما لم يفهمـ في ظلـ اي واقع تكونـت سايكولوجيا
 واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وغير ذلك ، ..
 لا يمكن تحقيق الاستفادة منها بصيغة التفاعل ،
 لتكون النتيجة ذات قيمة حقيقية وجدية من أجل
 صياغة النظرية القومية والوطنية لبلادنا .

قيلـت بالتربيـة في المانيا قبل وبعد العـرب
 لـوجـدـنا ان هـنـاك خـلاـقا جـوهـريا ، يـتصـل بـجـوهـرـ
 النـظـامـ والـطـورـاتـ السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ
 وـالـاـقـتـصـادـيـةـ المرـتـبـطـةـ بـقـيمـهـ الـقـديـمـةـ وـالـجـدـيـدـةـ ،
 وـكـذـلـكـ بـحـالـةـ سـايـكـوـلـوـجـيـةـ سـائـدـةـ فيـ ذـلـكـ الـمـجـسـمـ
 انـذاـكـ ، اوـ فيـ الـمـجـتـمـعـ الـراـاهـنـ ، ولوـ ذـهـبـنـاـ الىـ
 اليـابـانـ وـرـأـيـنـاـ النـظـريـاتـ الـتـيـ قـيـلـتـ فيـ التـرـبـيـةـ
 قـبـلـ وـاثـنـاءـ الـعـربـ ، وـالـنـظـريـاتـ الـتـيـ قـيـلـتـ فيـ
 التـرـبـيـةـ بـعـدـ اـنـدـحـارـ اليـابـانـ فيـ الـعـربـ الـعـالـيـةـ
 الـثـانـيـةـ لـوـجـدـناـ فـرـوقـاتـ جـوهـرـيـةـ فـيـماـ قـيـلـ ..
 وـفـيـماـ كـتـبـ .

لـذـلـكـ فـانـ الشـئـ الـذـيـ يـجـبـ انـ نـضـمـهـ فيـ
 حـسـابـنـاـ عـنـدـمـاـ نـدـرـسـ ايـ نـظـرـيـةـ تـرـبـوـيـةـ قـيـلـتـ فيـ
 ايـ مـكـانـ منـ اـرـجـاءـ الـعـالـمـ .. هوـ انـ نـدـرـسـ تـلـكـ
 النـظـريـاتـ بـقـصـدـ تـكـوـيـنـ مـلـكـةـ خـاصـةـ فيـ الـثـقـافـةـ
 الـعـامـةـ تـسـاعـدـنـاـ ، لاـ بـصـيـغـةـ النـقـلـ بلـ بـصـيـغـةـ

الزمن المضاف ٠٠٠

والجانب الآخر الذي يتصل بالعاملين اللذين مرا ، هو جانب الزمن ٠٠ الزمن المضاف هو عوامل مضافة مطورة وليس زمنا مضافاً مجرداً ، وإنما هو مضاف مع كل التطورات الحاصلة بالمجتمع ٠٠ مما لم نحسب الزمن المضاف يرتبط بالعوامل المضافة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وسايكولوجياً أيضاً ، فان عملية النقل ، اذا كان لها بعض الفائدة احياناً، تضييع فائدتها هذه في حالة عدم ادراك التطور الحاصل في ظل الزمن المضاف ٠

وعندما نترك النظريات جانباً امام ضغط من يقول قد لا نتفق على النظريات ، ولذلك لابد ان نأخذ بجزء من الكل لبحث فيه ، وعلى هذا الاساس يطرح بعثكم الان (التربية من اجل التنمية) ٠٠٠٠٠ فهنا أيضاً لابد ان نسأل :

التنمية في ظل أي قاعدة فلسفية؟ ٠٠ هل التنمية من أجل خلق حالة متراكمة من رؤوس الاموال ضمن مفهوم النظام الرأسمالي؟ ٠٠ أم التنمية كقاعدة للتحول الاجتماعي والاقتصادي باتجاه استرالي؟ ٠٠ كل حالة لها مستلزماتها ، وكل حالة لا يمكن نقل جزء منها وتركيبه على الحالة الاخرى ، وانما كل سياق تطورها وكل الفروع المتصلة بها لابد ان تكون متوازنة ومنسجمة مع نفسها ٠٠ أي مع الفلسفة ومع الهدف او الاهداف الاستراتيجية ٠

سوف تقولون مثلما سأله احدكم قبل قليل ٠٠ اذا لم نتفق على هذه المفاهيم في هذا الاجتماع فماذا نعمل؟ أو اذا كان طريق التطبيق امامنا في كل الانظمة العربية - وبدون استثناء ، مسدوداً لتطبيق الافكار التي نتفق فيها على الفلسفة والاهداف الاستراتيجية والتي ترتبط بالفلسفة

الاساسي في ذلك هو تخلف الوسائل التعليمية ،
 ان مثل هذا التفسير ينطوي على تبسيط كبير
 و عدم فهم الجذور الحقيقية للمشكلة ، ان السبب
 الاساسي للمشكلة لا يرتبط بتخلف الوسائل
 التعليمية ، وانما يرتبط بكل مكونات وظواهر
 المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بما
 في ذلك مسألة وسائل الانتاج في المجتمع
 وتأثيراتها وملكيتها ، ان هؤلاء الى ١١ مليونا
 لم يتربوا لأن وسائل التعليم متخلفة .. ولو
 دققنا الأمر لوجدنا ان اكثراهم تركوا الدراسة
 .. لأن اهلهم محتاجون لهم .. يحتاجونهم لأن
 يرعوا الفن ، بدلا من ان يكونوا طلابا يجتازون
 السادس الابتدائي ، ليذهبوا الى المتوسطة ،
 ويحتاجونهم لأن يعانونوا ذويهم في مهن حرة
 ما .. هذا المثال يبين لنا كيف نقع في الخطأ
 عندما نبحث اى حالة رقمية ، اذا اخذنا الارقام

والاهداف التي تنطلق منها .. الكتب بعضها
 يدرس في المدرسة وفي الجامعة ، والبعض
 الآخر ينشر للجماهير .. الكتاب الذي تنشره
 للجماهير هو الذي تقال فيه الافكار بالكامل ،
 تلك المتصلة بالفلسفة التي تؤمنون بها والتي
 تنبثق عنها أهداف محددة .. والتي يتفرع عنها
 وسائل اساسية بقصد الوصول الى الاهداف
 المحددة .. وبذلك يكون امامنا كتابان هما :
 كتاب «المتيسر» وكتاب «الطموح» ، وكل منهما
 يؤدي دوره من موقعه ، وحسب الظروف
 المتاحة ..

ذكر الدكتور مسارع مثلا قال فيه : ان
 ١٢ مليونا من طلاب الابتدائية العرب دخلوا
 المدرسة عام ١٩٧٠ ، وتخرج منهم مليون من
 الصف السادس الابتدائي فقط ، والباقيون
 تسربوا او تركوا المدرسة ، واعتبر السبب

العامة، من دون ان نأخذ الامور بشكل فرعى ، ونصب جهدا خاصا عليها لتراءها تستطيل بشكل سلطانى بمعزل عن الهدف ، وننوه بان استطالة كهذه ائما هي نبو طبيعى . ان تعليم الطلاب على كيفية حمل واستخدام السلاح لا يحقق لنا هدفا جديا في النضال القومى والوطنى ، ما لم يرتبط ذلك بفلسفة تحديد دور السلاح في نضالنا القومى والوطنى ، وما لم تنبثق عنه سياسات واضحة تحدد اتجاهه هذا .. فالجيوش العربية الموجودة في العراق والاردن وفي مصر او في سوريا ، عندما يكون لها نظرية تربوية ترتكز عليها ، ابتداءً منذ كان منتسبيها طلابا صغراً الى ان يصلحوا قادة في الجيش ، فان خططهم العسكرية كلها وطريقة تصرفهم تتأثر بها بالتأكيد ... ، هناك فرق بين ان نقاتل دفاعا عن ارض الجولان فحسب ، وبين ان نقاتل

مجردة بدون ان نبحث الصلة الحية لتلك الارقام بالواقع .

فالدكتور عندما يطرح شعار « عسكرة التربية » فإنه يفصل الفرعيات عن أساسياتها ، ولا يقدم حلولاً لأصل المشكلة ، انا اقول ان الشعار الصحيح هو عسكرة التربية وتربية الشعب ومن ضمنهم العسكر ، لأن عسكرة التربية شيء فرعى ، ان الدكتور في شعاره الفرعى ، عسكرة التربية ، ائما أراد ان يقول انتا بحاجة الى تربية الطلاب على كيفية حمل السلاح .. ابتداءً يجب ان توجد لهم الفلسفة والهدف الستراتيجي والايمان المتصل بهما .. وعندما تخلق الايمان لدى الطالب الصغير ، ولدى الاب الكبير مثلاً بأن فلسطين جزء من الوطن العربي ، ويجب ان لا تغيب عن بالينا .. عند ذلك نتحقق جانباً مهماً من هدف عسكرة التربية ضمن الخطة

ان ندافع عن الأرضية التي يرتكز عليها
الكرسي .

لكن عندما نقاتل دفاعا عن ارض فلسطين،
ففي مثل هذا الموقف يكون المفهوم الجديد
المضاف نوعيا .. لأن في مثل هذه الصيغة
لا يقاتل الجميع دفاعا عن فلسطين ، لأن الدفاع
عن فلسطين خارج حدود الأقليم يرتبط بهم
قومي خاص ويرتكز على فلسفة معينة ، في حين
أن الدفاع عن القطر أو جزء منه مسألة
أخرى ...

دفاع اليابان عن أرض اليابان ، وان كان
النظام رأسماليا ، فان الامر طبيعي، لانه يرتبط
ببساط واجبات الوطنية ... لكن عندما يدافع
الاتحاد السوفياتي عن كوبا او أي دولة من دول
حلف وارشو ، فهذا مرتبط بفلسفة معينة
يؤمن بها الاتحاد السوفياتي ، وتحكم في

دفاعا عن ارض الجولان وصولا الى فلسطين ..
هناك فرق بين ان نقاتل دفاعا عن الرمادي
« الانبار » في العراق ، وبين ان نقاتل دفاعا عن
الانبار وصولا الى تحرير فلسطين .

القربية تختلف بين هذا وذاك ، ان نقاتل
دفاعا عن الانبار كمراقبين فليس في مثل هذا
الموقف دلالات قومية او دلالات وطنية استثنائية،
لأن .. النظام الرأسمالي والخطام الاشتراكي
يقاتل دفاعها عن الانبار .. الوطنيون والقوميون
يقاتلون دفاعها عن الانبار .. الرجعي والقديمي
يهاتل دفاعها عن ارض الأقليم الذي يعيش فيه،
النظام الاوتوقراطي والنظام الشعبي
الديمقراطي يقاتل دفاعها عن الانبار في العراق
ومن الجولان وسي Leone في سوريا ومصر .. وليس
هناك خصوصية استثنائية في ان نقاتل دفاعا عن
جزء من العراق ، لأن كرسي الحكم الذي نجلس
عليه يرتكز على ارض العراق ... فمن البدائي